نماذج وثائقية من المراسلات العربية في وثائق الأرشيف العثماني**

*سهيل صابان**

ملخص

يحفل الأرشيف العثماني بالعديد من الوثائق التي تؤرخ للدولة العثمانية، كالمراسلات الإدارية والتقارير السياسية والاجتماعية. وقد تناول الباحث في هذه الدراسة بعض ما تضمنه الأرشيف العثماني، كالأشعار التي كان يرسلها العلماء والمثقفون إلى السلطان العثماني في المناسبات المختلفة. وقد أشار الباحث في هذه الدراسة إلى اهتمام العثمانيين باللغة العربية، وقد مثل لذلك بالقرار الصادر بحق المدير المسؤول عن إحدى الصحف العثمانية بتغريمه مبلغاً من المال بسبب إساءته للغة العربية. واشتملت الدراسة كذلك على بعض الأشعار التي قيلت في وصف السلطان العثماني، وبعض الخطابات التي أرسلت للقادة العثمانيين.

الكلمات الدالة: الوثائق التاريخية، الأرشيف العثماني، الدولة العثمانية.

مازال الأرشيف العثماني بكراً في مقتنياته النادرة من الوثائق التي تؤرخ للدولة العثمانية والدول التي قامت على أراضيها، وهي أكثر من ست وثلاثين دولة في القارات الثلاث: آسيا وأوربا وإفريقيا. وهذه الوثائق وإن كان معظمها مراسلات إدارية وتقارير سياسية واجتماعية وإحصاءات مالية اقتصادية وصحية، إلا أن فيها مخطوطات عربية في علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وإن كانت صغيرة الحجم، إضافة إلى آلاف الخطابات العربية التي وصلت إلى العاصمة العثمانية إستانبول من أنحاء مختلفة من العالم العربي والعالم الإسلامي، سواء أكانت مرتبطة جغرافياً بالدولة العثمانية أم غير مرتبطة بها(١).

ومن ضمن هذه الخطابات ما لاحظته أثناء البحث في الأرشيف من وجود أشعار مقفاة ومسجوعة، أرسلها بعض العلماء والمثقفين إلى السلطان العثماني في مناسبات عديدة، كالتهنئة بالعيد، والتهنئة بجلوس السلطان على كرسي السلطنة، وتنبيه السلطان إلى أمور ثقافية أو سياسية أو اجتماعية متنوعة في المنطقة التي يقطنها المرسل، إضافة إلى الخطابات العربية التي حوت كلاماً أدبياً بليغاً في بعض الموضوعات العلمية والتاريخية.

وكان اهتمام العثمانيين باللغة العربية بارزاً في كل المناسبات، وحتى في عهد الاتحاد والترقي المعروف بتوجهاته القومية لم يَخف ذلك الاهتمام. ولعل القرار الصادر في حق أحمد جودت(٢) – المدير المسؤول عن صحيفة إقدام(٣)

(١) للتعرف على المزيد من الخطابات العربية انظر: سهيل صابان، **الخطابات العربية في الأرشيف العثماني**- مجلة الدرعية (الرياض).-. س٦، ع ٢١-٢٢ (ربيع الأول ١٤٢٤هـ- مايو ٢٠٠٣م/ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ- أغسطس ٢٠٠٣م). ص٩٣-١٢١.

(٢) أحمد جودت بك (١٨٦١-١٩٣٥م) ولد في إستانبول، وتخرج في كلية الحقوق والعلوم الإدارية بها. عمل محرراً في

** قد يجد القارئ في هذه الوثيقة ما يخالف قواعد اللغة وأحكامها، والأحكام العروضية في الشعر العربي. ونحن ننشرها كما هي، للتعرف على لغة المراسلة، وثقافة القوم في ذلك العصر.

* أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض. تاريخ استلام البحث ٢٠٠٧/٤/١٥م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠٠٨/١/٢٨م.

العثمانية – بتغريمه بمائة ذهب عثماني دليل بارز على ذلك الاهتمام، فقد أوردت وثيقة عثمانية (صادرة في ٢٤ مارس ١٣٢٦ رومي/٢٥ ربيع الأول ١٣٢٨هـ/٦ أبريل ١٩١٠م) اعتراض أحمد جودت على القرار الصادر في حقه، فعقبت المديرية العامة للأمن على ذلك بأن القرار الصادر من الديوان العرفي العام(٤)، نافذ ولا يقبل أي استئناف، ولابد له من دفع المبلغ المذكور فوراً؛ حتى لا يتجرأ ثانية على الحديث على نحو مسيء إلى القوم النجيب: العرب، واللغة العربية(٥).

ومن تلك الخطابات التي يظهر فيها الأسلوب الأدبي البليغ ما أرسله العالم المصري الشيخ محمد عبده [في ٦ شوال ١٣٠٤هـ/٢٨ حزيران ١٨٨٧م]. ونصه:

"مولانا دولتلو [صاحب الدولة] أفندم حضرتلري؛

ما أفضل الفضل من مبادئه وما أكرم الكرم من مناشئه، وما أكبر التواضع من الكبراء، وما أعلى التنازل من الأعلياء. جلت مكارم مولانا عن التقدير، وفاتت فواصله حيطة التحرير. توجهت عنايته إلى ضعيف في وُجده عارف بقدره واقف عند حدّه، فأحسن غليه بأمر كريم من رفده، يكسوه من الوصف حلّة بهاؤها بمسديها، ويوليه كرامة سناؤها بمهديها، وما هي إلا كمالات المولى تبدو مظاهرها، وكرائم سجاياه تنشر على المخلصين مفاخرها. وإلا فليس لهذا الداعي ما يستلفت نظر دولته، ويستقبل به وجه كرامته، اللهم إلا الإخلاص في ولائه، والاحتساب على آلائه. وأما استيلاء مولانا على منصّة تشرف به على النظر فيما يؤكد نسبتي إليه، ويقوّي استنادي عليه، فأرجو الله أن تسموَ به إلى أعلى ما يؤمل لمثله بمثل فضله؛ حتى يعمّ إحسانُه المتعرّفين إلى جنابه والعاجزين عن التقرب من رحابه. وقد أرشدتني حكمة مولانا إلى الاعتصام بالصبر. فكنت فيما أرشدني إليه على نحو ما يقول سابقي إلى مثل حالتي [من البحر الطويل](٦):

تعوّدتُ مرّ الصبر حتى ألفته فأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

فالحمد لله على توفيقي؛ للأخذ بإرشاده، ووقوفي عند حد مراده؛ فلا زال يحيى القلوب بحكمته، كما يحيى نظام

صحف: صباح، تاريخ سعادت وإقدام. كان من الداعين إلى تيار القومية التركية.

Risale Masa Ansiklopedisi.Risale yay.Istanbul: 1988.p.19.

(٣) صحيفة إقدام: (١٨٨٤–١٩٢٨م) إحدى الصحف العثمانية اليومية التي استمرت فترة طويلة – نسبياً – في الصدور، حيث صدر أول أعدادها في الأول من محرم عام ١٣١٢هـ (٥ تموز ١٨٩٤م) وآخرها في ٣١ ديسمبر ١٩٢٨م، وبذلك صدر منها ١١٣٨٤ عدداً. وكان يطبع منها حوالي خمسة عشر ألف عدد، وارتفع هذا العدد بعد إعلان المشروطية (عام ١٩٠٨م) إلى أربعين ألفاً. وكان من أهم سياسات الصحيفة التي لم تتغير الدعوة إلى القومية التركية والعمل على استخدام اللغة التركية الصحيحة في المجتمع التركي. انظر:

Ikdam/Nesimi Yazici {Turkiye Diyanet Vakfi/Islam Ansiklopedisi}.- Istanbul: 2000: 22/24-25

(٤) هذا الديوان يبدو هو ديوان عسكري، شكل بعد أحداث ٣١ مارس بفترة.

(٥) الأرشيف العثماني، تصنيف DH.EUM.THR.30/66

(٦) لقد تفضل محمد خير البقاعي بتسمية بحور الشعر الوارد في هذا المقال، كما قام بقراءة النصوص الواردة فيه، وصححها. وله مني خالص الشكر والتقدير.

الأمة بعدالته، والله يتولى مكافأته بالمثوبة على إحسانه، بما يكفل له في العالمين إعلاء شأنه ورفعة مكانه.

والأمر لمن له الأمر أفندم.

٦ شوال ١٣٠٤[هـ] الداعي محمد عبده المصري (الختم)"(٧).

ومن الأشعار التي قيلت في وصف السلطان العثماني عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني (١٢٧٧-١٢٩٣هـ/١٨٦١-١٨٧٦م) ما نظمه العالم الجهبذ والأديب المفوّه سعد الدين أفندي – من علماء الحديدة باليمن – بمناسبة استعادة صنعاء للإدارة العثمانية عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م). وهذه القصيدة النادرة اشتملت على العديد من أوجه البلاغة اللفظية، ولعل إنعام النظر في صورة الوثيقة العثمانية يسعف في فهم ذلك. وفيما يلي نص قصيدة الشيخ سعد الدين الذي حصل على الوسام المجيدي من الدرجة الخامسة؛ مكافأة له على ذلك، بعد اقتراح أحمد مختار باشا(٨) على الباب العالي بذلك(٩) [من البحر الخفيف]:

هـ	هَدَرَ الورْقُ	ن	ناطقاً بالأغاني	م	من رياض الهنا	و	ووشم المغاني
ن	ناظماً بالخفيف	ص	صوتاً ثقيلاً	ل	لحن داود في	خ	خلوص الغواني
ع	عنه يروى إسحاق	ر	رب المثاني	ك	كل مستنهض	ل	لروح الجنان
ب	برحيم غذي	هـ	هوا الجنك يحكي	ا	إن أرادوا زوال	د	داء الجنان
د	دَبَّ من مَسْمَع	ا	إلى القلب ما قد	ل	لطف معنا ضاه	م	ما الجنان
ا	إيه يا وُرْقُ	ل	لي سَجْعتمْ بنظمٍ	ق	قلته في المديح	ل	للسلطان
ل	لمليكٍ	ل	له الملوك أنابت	ط	طاعته لاستيلاء	ك	كل مكان
ع	عَمّ بالملك	ل	هذه الأرض حتى	ر	ربعها فهو شاه	هـ	هذا الزمان
ز	زَيّن الملك حين	ن	نيط به في	ا	اننا فانبشني	م	مكين الشان

(٧) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.EE.38/16 ولم أجد في مؤلفات محمد عبده ما يشير إلى الخطابات التي بعثها للسلطان عبد الحميد الثاني.

(٨) أحمد مختار باشا: (١٨٣٧-١٩١٩م). من كبار القادة العثمانيين. تعلم بإستانبول، وتنقل في أعمال إدارية وعسكرية بالحجاز واليمن وكريت وألبانيا ومصر، وأصبح والياً على اليمن، وقام فيها ببعض الإصلاحات العسكرية والإدارية، وله بعض التقارير واللوائح التي تحدث فيها عن تلك الإصلاحات، وعاد إلى بلاده عضواً في مجلس الأعيان (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) وصدراً أعظم (١٣٣١هـ/١٩١٣م)، وتوفي بإستانبول. لقب بالغازي لحسن بلائه في الحرب العثمانية – الروسية، وكان يجيد العربية، إلا أنه صنف بالتركية، وتَرجم شفيق يكن بعضها إلى العربية. له بعض التقارير واللوائح التي نظمها أثناء وجوده في مصر، والتي توجه إليها بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني لإبرام بعض المعاهدات مع الإنجليز عن مصر، في الأرشيف العثماني. سهيل صابان، **مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني**، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٦-١٧

(٩) الأرشيف العثماني، تصنيف I.DH.45820

ي	يا عزيز الملوك	ص	صرت مطاعاً	ل	للفريق المنسوب	ل	للإيمان
ز	زادك الله	ر	رفعة أنت حقاً	ج	جامع الشمل نائب	ا	العدناني
س	سدت من قد مضى	ا	إذا الصيد عُدّوا	م	مثل بيض الورى على	ا	السودان
ل	لك دانت من آل	ع	عامر غلب	ي	يعجز الجن سوقها	ل	للأمان
ط	طوّعتها قرا	ز	زواخر جند	م	مدها دون وسعه	ا	الخافقان
ا	إن قحطان آل	ي	يشجب لولا	ا	أنت لم يدن	ن	نزجها لمداني
ن	ناوشَتْها مِن قبلُ	ز	زنجٌ ورومٌ	ل	لم تطقْ فانثنوا عن	ا	الإمكان
ن	ناجزتها منهم	ا	أناس فآبوا	ي	يطلبون المنجى	م	من الإمحان
ا	إنما أنت عظم	ت	تاجك خوفاً	م	منه ذلت أولوا	ر	رسوم حصان
ا	أنت أسكندر	ا	الأوان حقيقاً	ا	أنت كالشهم	ح	حارث القحطاني
ل	لزم الغزو فاستقل	م	مطاعاً	ن	ناعماً غانماً	ي	يسار اليماني
ع	عايلاً عولك	ا	الأنام بجدوى	ي	يرتجيها جسوداً	م	ملوك الأوان
ا	إنك الملجأ الحصد	.	ين إذا ما		باللتيا وجايح	ا	الحدثان
د	دهمت ساكن		البسيطة بالأموال	.	وهم أصبحت حصين	ا	الأمان
ل	ليس إلاّك بعد		أحمد طه	.	وبنيه يا	م	معقل الإيمان
.	مستحق المدح		المخلد والشكر	.	وما قد	ي	يكون ضمن التهاني
.	لونك القائم		المجدد في القرن	.	لأهل الإسلام	ن	نعم المباني

قد نسخت الملوك نسخ رسـول	أبعد بالحق دولة البطـلان
وتفردت مالك الغرب والشـرق[١٠]	وشام المعمور واليمــان
وبسطت العدل الوسيـع فأضحـى	ضنك الجور في عظيم هوان
إيه أيهـا سلطانـنـا هكذا إن كان ملك ولن يرى لك ثانـي	
وبصنعا[ء] وبالبحيث[١١] على الإطلاق[١٢]	طرا يقول بخل لسانـــي
هنّ[١٣] عبد العزيز سلطاننا العادل[١٤]	ملك القطر الجميم اليمانــي
إذ أتى للفتـوح تاريـخ عـام	صار كالقطب في بديع البيـان
وعليه من الزوايـا خبايـا	أظهرت بالألفاظ حسن المعاني

فأعادته لهجة الرق سعد[١٥]	الدين في النظم فايق العقيان
طالباً بالتكرار إدرار جود	مستجيح من فقره ما يعانـي
هَنّ عبد العزيز سلطاننا العادل	ملك القطر الجميم اليمانـي
سَرَكار كل ملكٍ وسلطان[١٦]	تراه أضحى رفيع الشـان
خافقي كرة الأرض	وما تحت قبة السرطـان
هذه الدورة	من طال الأوج من كيـوان
النقطة	من قد سما أولي التيجـان
	عـال ساكر العمران
	كـل قـاص ودانــي
	إيــقـــان
من تجلت له مظاهر سر الاسم[١٧]	وهو العزيـز ذو السلطان

(١٠) الأصل أن يكون حرف ق في (الشرق) في بداية الشطر الذي يليه حسب الوزن. وتقيدنا هنا بما ورد في نص الوثيقة.
(١١) البحيث: يبدو أنه اسم موضع في صنعاء.
(١٢) الأصل أن تكون حروف لاق في (الإطلاق) في بداية الشطر الذي يليه حسب الوزن. وتقيدنا هنا بما ورد في نص الوثيقة.
(١٣) هنّ: من التهنئة، مجزوم بحذف حرف العلة.
(١٤) الأصل أن يكون حرفا دل في (عادل) في بداية الشطر الذي يليه حسب الوزن. وتقيدنا هنا بما ورد في نص الوثيقة.
(١٥) الأصل أن يكون حرفا الـ في (الدين) في بداية الشطر الذي يليه حسب الوزن. وتقيدنا هنا بما ورد في نص الوثيقة. والرق هنا بمعنى العبد. والشاعر سعد الدين.
(١٦) الأصل أن يكون حرف ن في (وسلطان) في بداية الشطر الذي يليه حسب الوزن. وتقيدنا هنا بما ورد في نص الوثيقة.
(١٧) الأصل أن تكون حروف ألف سين ميم في (الاسم) في بداية الشطر الذي يليه حسب الوزن. وتقيدنا هنا بما ورد في نص الوثيقة.

فغدا محرز الإضـافة عبـداً مالكاً للأحرار والعُبدان
وتوسعت في المديح لعلياه[١٨] اتساع التيار ذي الهيجان
فأتى بالتشجير قولي صحيحاً واجتبى بالأكمام أغلى الثماني
قايلاً أيها الأديب بمدحـي وبآيات الفتـح والرحمان

هن عبد العزيز سلطاننا العادل ملك القطر الجميم اليمـاني

وليدم رافلاً بأثواب عـز آمناً من طوارق الحدثـان
ما تغنت ورق السرور بشعري في رياض الأفراح يوم التهاني
وعلى المصطفى صلوات إلهي وبنيه وقدسه الصمدانـي"[١٩]

ومن الخطابات العربية التي ضمت أشعاراً، الشعر الذي نظمه السيد عمر بن أبي بكر الشريف التونسي في وصف سلاطين الدولة العثمانية. وقد نظمه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وأشار إليه في ثنايا شعره، ووشحه بـ

"الحمد الله الكريم المنان الذي منحنا نظم هذه القصيدة المسماة بالياقوت والمرجان في مدح آل عثمان" [وهذه القصيدة من البحر البسيط]:

نصر من الله ممزوج بإحسـان يتلو ليوث الوغى من آل عثمان
قوم هم الناس لا كالناس قد ملؤا رحب البسيطة من أمنٍ وإيمان
حطوا الرحال بأبواب الكريم فمـا حطت كراماتهم قطٌ بأزمـان
باعوا الهوى واشتروا فرط الوفا فحبوا تاجاً من العز لم يوجد بأثمـان
قاموا بأعباء دين الله واعتصمـوا بـه وما تركوا أثر الصلبـان
جاءت على السنة السمحاء سنتهم فخولوا خلعاً خُصت بإتقـان
لقد على[٢٠] ذكرهم في الخافقين إلى أن غاب فيه امتثالاً آل مروان
سمت مراتبهم بين الأنـام ومـا عدت مناقبهم ما بين أقران
لله قوم سقوا صرفاً مشعشعة من كف أحسن ساق ساد عدنان

---

(١٨) الأصل أن يكون حرف الهاء في (لعلياه) في بداية الشطر الذي يليه حسب الوزن. وتقيدنا هنا بما ورد في نص الوثيقة.
(١٩) الأرشيف العثماني، تصنيف I.DH.45820
(٢٠) على: الصحيح: علا.

بيض الوجوه كرام الأصل قد مزجت أخلاقهم بجميل قطفه دان
زانوا الخلافة بالتقوى فما برحت تختال في عزها الأسمى ببرهان
ما من عدو تلاهم في ملاحمتة إلا وأصبح لحماً بين عقبان
ظلت لديهم أسود الطعن خاضعة تلقى الأعنَّة في سر وإعْلان
تخشى ملوك الورى في الدهر سطوتهم إذ توجوا في ربا العلياء تيجان
هم السلاطين جل الله مانحهم ساسوا العبيد فقاموا آل ساسان
يا طالب الفخر قف بالباب متمثلاً واجعل شفيعك منهم خير سلطان
عبد الحميد شقيق البدر مَن وجبت بالنص طاعته في آي قرآن
بدر التمام أمير المؤمنين ومن ذاعت مزيته في كل إنسان
بحراً عميقاً عميماً لا يكدّره غرف الدلاء هماماً جل عن ثان
غضنفراً تدهش الألباب وثبتهيوم الوغى أن بغى وغد بعدان
صلباً عبوساًَ شديد البأس مفترساً لا ينثني عزمه في طوع خلان
سهلاً على كل ذي لين وتوئدة صعباً على كل ذي زور وبهتان
بادي البشاشة رحب الصدر ديدنه لطائف العفو في جود وإحسان
يبدو الحيا من محياه على بعد كأنه قمر في لونه القان
قد شرف الله في الأقمار طلعته وحفه بكمال دون نقصان
سامي الأرومة طلق الكف متصل عذب الخطاب عظيم القدر والشان
صاف صفوح طويل الباع معتدل روى فنون الندى عن خير فرسان
يؤي الغريب ومحي المستجير به لا صبح الناس في ذل وخسران
يا حسنه إن بدى كالبدر معتقلاً سيف الوقار بوصل دون هجران
يرمي القلوب بسهم العدل وهو على عرض الخلافة في عز وسلطان
في أنفه شمم في كفه كرم في رأيه حكم تهمي بعرفان
في سيفه نقم في طبعه همم في بيته علم ينمو بوجدان
يا ليت لي ألسناً شتى فأصبح في إمداحه بين بشار وحسان
رَبِّ إكْفِه غيلة الحساد ما كثروا وأكفف عليه أكف الإنس والجان
واردد عداه على الأعقاب خاسرة واهزم جنودهم يا خير منان
واجعل دوام البقا والنصر مورده ما رصعت روضة يوماً بألوان
واشدد بنيل المنى والعز ساعده واحفظ سريرته من كل شيطان
واكتب سلامته وانشر إمامته ما فتق الزهر عن نشر ببستان

وعُمَّ عترتَه رفداً ومكرمـة وخصهم بسنا عفو وغفران
بجاه أحمد ختم الرسل من قبلت بالفور دعوته من فضل ديان
خذ بِكْرَ فِكْرٍ أتتك اليوم شاكية تربو اعتدالاً على مطلولة البان
لقد تجلى لشكواها وطوقـها عقداً تألَّف من در مرجان

ناظمها العبد الداعي السيد عمر بن أبي بكر الشريف التونسي خادم العلم الشريف"(٢١).

ومن الخطابات العربية المحفوظة في الأرشيف العثماني الخطاب الذي أرسله المحجوب صالح سالم إلى أحمد مختار باشا(٢٢) – الممثل فوق العادة للدولة العثمانية في مصر(٢٣) – بمناسبة عيد جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على كرسي الحكم، ضمنه شعراً جميلاً، وصف فيه الخلافة الإسلامية والخليفة بأوصاف بديعة. وتاريخ تسطيره ٢٠ أغسطس ١٨٩٧م (٢١ ربيع الأول ١٣١٥هـ)، وقد ضم الشطر الثاني من البيت الأخير تاريخ تلك السنة بحساب الجمل وهو عام ١٨٩٧م، كما يظهر ذلك واضحاً في صورة الوثيقة العثمانية. ومع أن المعتاد في الدولة العثمانية ممن يؤرخ بحساب الجمل أن يستخدم التاريخ الهجري، إلا أن هذا الشاعر استخدم التاريخ الميلادي، وهو من النوادر. ونص خطاب المحجوب صالح سالم:

"مندوب دولتنا العلية العثمانية [هنا كلمة غير واضحة] الشهم الهمام أحمد مختار باشا الغازي دولتلو [أي صاحب الدولة] أفندم حضرتلري [أي حضرة، جناب]

بعد التبجيل والتعظيم والدعاء والتكريم، أتشرف بأن أرفع إلى سوح دولتكم الأسمى الأجل، وبوح جنابكم الأسنى الأكمل، ما توقف لي بعناية رب العالمين، أن أقوله بمناسبة حلول عيد جلوس مولانا أمير المؤمنين، أيده الله تعالى بنصره، وحفظه وآله ورجال دولته بسرّ آيات ذكره، من بني الإنسان وشره ومكره وغدره، ولو إني لست من فرسان هذا المجال، ولا من المندمجين في سجل أولى الأفضال والأثقال. ولكن شفقي بحب مولاي حامي حمى ديني ودنياي، مع ما جبلتم عليه حفظكم الله من محاسن أحاسن الانعطاف إلى مَن حَبّه ووالاه، حملني أن أتطفل بطرق باب الكرم

(٢١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.EE.38/148

(٢٢) أحمد مختار باشا: (١٢٥٣–١٣٣٧هـ/١٨٣٧–١٩١٩م)، من كبار القادة العثمانيين، تعلم بإستانبول، وتنقل في أعمال إدارية وعسكرية بالحجاز واليمن وكريت وألبانيا ومصر. وأصبح والياً على اليمن، وقام فيها ببعض الإصلاحات العسكرية والإدارية، وله بعض التقارير واللوائح التي تحدث فيها عن تلك الإصلاحات، وعاد إلى بلاده عضواً في مجلس الأعيان (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) وصدراً أعظم (١٣٣١هـ/١٩١٣م)، وتوفي بإستانبول. لقب بالغازي لحسن بلائه في الحرب العثمانية – الروسية. وكان يجيد العربية، إلا أنه صنف بالتركية. وتَرجم شفيق يكن بعضها إلى العربية. له بعض التقارير واللوائح التي نظمها أثناء وجوده في مصر، والتي توجه إليها بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني لإبرام بعض المعاهدات مع الإنجليز عن مصر، في الأرشيف العثماني. سهيل صابان، **مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني**، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. ص ١٦–١٧

(٢٣) وقد سبق لنا نشر بعض تقارير أحمد مختار باشا عن الجزيرة العربية بعنوان: تقارير أحمد مختار باشا العثمانية عن الجزيرة العربية، الدارة، ع٢، س ٢٩ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). ص ١٧٥–١٩٢

والرعاية والنعم؛ إذ المورد العذب عند العظماء لا تحجب، مهما تفاوت وراءه في الدرجة والمنصب. فإن شئت أن تتفضل كما عودتنا بقبول هذه الكليمات من منشئها وراويها، فافعل الهدية على مقدار مهديها. وها هي ياذا المعالي تتجلى بمدح مولانا الأعظم نورها المتلألئ، كما ترى بلا مراء [وهذه القصيدة من البحر الكامل].

نور الخلافة بالخليفة لاحا حين ارتقى عرش الولاء فلاحا (من الفلاح)

والأنس أشرق للبرية ضوؤه فسرى عبير البشر منه وفاحا

والصفو بشرنا بحسن زمانه حيث الإله له السعود أتاحا

والدين أضحى من علاه معززاً يثني عليه عشية وصباحا

والناس باتوا في الديار بأسرها يرجون تأييداً له ونجاحا

وبعودة الأعياد يدعون العلى بدوامه درعاً لهم وسلاحا

ويرددون لآلـه ورجالـه حمداً سنياً زاهداً وضاحا

فهو الجليل خليفة الله الذي ذل الطغاة وعمم الإصلاحا

لله ما أحلى احتفال جلوسه إذ كان فينا للدجى مصباحا

عيد به كل الحظوظ توفرت ونمى الهنا وبكل ناد صاحا

ولذلك قلت من السرور مؤرخاً عيد الخليفة حظه قد لاحا

كل عام ودولتكم وآلكم وذويكم ومن والى الدولة والملة الحنيفية بخير وبِشْرٍ يدومان بدوام ذكر خير البرية (صلى الله عليه وسلم) وبمنه وكرمه آمين أفندم. ٢٠ أغسطس ١٨٩٧م المحجوب صالح سالم، معاون صلخانه"[٢٤].

وبعث محمود شكري الموظف بمديرية القليوبية[٢٥] شعراً منظوماً بتلك المناسبة على النحو الآتي [وهو من البحر الوافر]:

"ابتهاج النفوس بعيد الجلوس

جلوس لاح بالفوز العظيم لسلطان الورى الملك الكريم

أمير المؤمنين هدى البرايا وحامي بيضة الدين القويم

مفيض العدل بين الناس طرا عظيم الفضل والجود العميم

تفرَّد في الجلال وساس ملكاً فاضحى لابساً حلل النعيم

به عرش الخلافة قد تسامى وعاد لمجده الأسنى الفخيم

لقد عم الورى أنسـ[اً] وبشر[اً] بعيد جلوسه الزاهي البسيم

(٢٤) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.TKM 39/73

(٢٥) القليوبية: تقع في منطقة شرق النيل عند رأس الدلتا، ويحدها من الجنوب القاهرة والجيزة، ومن الشمال الدقهلية والغربية، ومن الشرق المنوفية. ولها موقع متميز؛ لأنها في ملتقى طرق المواصلات الرئيسية لجميع محافظات الوجه البحري.

تجلى يومه بسنا سعود ولاح بطالع اليمن الوسيم
أدام الله دولته بمجد وإعزاز وقصر مستديم
والسنة الولا قد أرختـه جلوس لاح بالفوز العظيم
١٣١٥ ٩٩ ٣٩ ١٢٦ ١٠٥١

محسوبكم محمود شكري موظف بمديرية القليوبية"[٢٦].

ونظم أيضاً أمين علي العوامري – مدرس اللغة العربية بمدرسة الأستاذ الحجاري بالإسكندرية – أبياتاً بتلك المناسبة على النحو الآتي:

"قصيدة تاريخية، تهنئة بعيد الجلوس المبارك لمولانا السلطان الأعظم عبد الحميد خان حفظه الله [وهي من الرجز]:

دع ما ادعى العذال واترك هجراوصل محباً لك تغنم أجرا
يا شمس حسن أن تبدي مسفرا ومن بحسنه البدور أزرى
ويا أخا الظبي إذا ما قدرنا وغصن بان عادل أن مرا
ارحم بحق الله رب لوعة ودارك الأمر فذاك أحرى
وسل نجوم الليل عند متيم فهي بسهدي وضنائي أدرى
قاسيت في الغرام كل شدة وزدت حباً وضنا وصبرا
لعل أن تنظر في حال امرئ يهوى لك العز و يرجو الخيرا
ليس له قصد سواك يرتجي ولم يمل إلا إليك الدهرا
مثل قلوب الناس إذ مالت إلى آلاء سلطان إلا نام طرا
خليفة الله العلي في أرضه من فاق حزما وحجا وقدرا
بدر السنا عبد الحميد المرتجىقطب العلا بمجده استقرا
مليكنا السامي الذي آراؤه حيرت ألباب الورى والفكرا
بحر الندى والبر بر مشفق غوث إذا ما خطب اكفهرا
رب المعالي والسجايا والحيا والنعم التي دواماً تترى
بحسن فكر منه قد فاق الورى وحاز مجدا زائدا ونصرا
نواله عم الدنا كعد لـه وطول صبره أفاد أمرا
أضحى به الإسلام في أيامه مؤيدا مبتهجا مغترا
سلالة المجد أبو العلياء من قد طاب فرعا بيننا وفخرا
وصاحب المعروف ذو الحلم الذي عم البلاد برها والبحرا

(٢٦) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.TKM 39/73

إلا وحد الشهم الذي بعزمه أزال رعبا وأباد الذعرا
مبارك الطلعة محبوب الملا مفخم القدر حميد الذكرى
مولاي يا كل الأماني والرجا ومن لنا بحر الهبات أجرى
ومن على أوصافه أثنت أولوا الأقلام نظما تارة ونشرا
اهنأ بعيد قد بدا مع أنعم يقدم حظا مانحا وبرا
٥٧ ٨٦ ١٠٤ ٧ ١١٠ ١٦١ ١٥٤ ٩٠٩ ١٠٠ ٢٠٩ ١٨٩٧
واسعد وطب نفسا وقر وابتهج وارفل بثوب السعد مستمرا
وبالمنى ابشر وكل نعمة منشرها بما تروم صدرا
لا زلت للإسلام حصنا ناقصا سيفا على الذي يروم غدرا
ما قيل في يوم سرور أرخوا عيد سعيد قد أتى للبشرى
١٣١٥ ٨٤ ٤٤ ١٠٤ ٤١١ ٥٧٢

من قلم الفقير إلى الله تعالى أمين علي العوامري، مدرس اللغة العربية بمدرسة الأستاذ الحجاري بثغري الإسكندرية"[٢٧].

وفي مقابل تلك الأشعار المقفاة في مدح السلطان عبد الحميد الثاني، كان هناك أدباء في ديوان السلطان، يردُّون على بعض الخطابات بعبارات أدبية بليغة ولسان عربي فصيح. وعلى الرغم من أنني لم أجد رد السلطان عبد الحميد الثاني على تلك الأشعار العربية التي قيلت في مدحه، إلا أنني وجدت خطاباً بليغاً منه إلى حاكم زنجبار السيد برغش[٢٨]، أرسله إليه بمناسبة اعتزامه التوجه؛ لأداء فريضة الحج[٢٩]. وذلك رداً منه على خطاب السيد برغش، الذي

---

(٢٧) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.PRK.TKM 39/73

(٢٨) السيد برغش، سلطان زنجبار، هو الابن السابع لوالده. ولد عام ١٨٣٧م وتولى الحكم في ١٨٧٠م وحتى وفاته عام ١٨٨٨م. وقد ترك له أبوه مقاطعة بانجيني، وأنجب ولدين، هما سيف وخالد، الشيخ عبد الله بن صالح الفارسي، **البوسعيديون حكام زنجبار**/.– سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠م. ص ٢١–٢٢

(٢٩) وقد أرسلت مذكرة سلطانية سامية بهذه المناسبة لوالي جدة حالت أفندي (في ٩ ذو القعدة ١٢٩٤هـ/١٥/١١/١٨٧٧م)، ونصها: بناءً على أن الإخبار والإشعار الوارد بأن حاكم زنجبار السيد برغش متوجه هذه السنة إلى الحجاز؛ لأداء فريضة الحج، فقد لقيت السلطنة السنية ذلك بحسن القبول، ووُجد أنه من المناسب تقديم التقدير اللائق به الموافق لشأن الجناب العالي. وإذا وصل دولتكم إلى الولاية الجليلة مقركم المبارك بمنه تعالى، تقومون بالتشاور مع سيادة أمير مكة المكرمة؛ لاختيار لجنة من الأشراف والأعيان؛ لاستقباله، بحيث يستقبلون دولته في جدة مع موظفي الولاية المناسبين، ويتم الإعداد لتوفير كافة الوسائل لتوجهه من جدة إلى مكة المكرمة. كما يعد له مقر مناسب لنزوله فيه بالبلدة الطيبة قبل ذلك، بحيث يقيم فيه. ويتم إعداد الأكل والأسباب الداعية لتوفير الراحة، كما يجب إعداد كافة التسهيلات له أثناء أدائه لفريضة الحج مع تقديم الاحترام الكامل له، كما يجب الاحتفاء به أثناء عودته، وتقديم الوسام المجيدي من الدرجة الأولى الصادر في هذه الأثناء إليه مع الخطاب السلطاني العالي، وإهداؤه إليه بأنه من جناب الخليفة. وقد صدرت الإرادة السلطانية بالإذن لكم في صرف المصروفات التي يستوجب صرفها بهذه المناسبة على أن تؤدى من صندوق المال وبشرط أن تكون المصروفات معتدلة. وقد أرسل الوسام العالي مع الخطاب السلطاني

لم يستطع الحج في تلك السنة. ونصه:

"خطاب جوابي سلطاني إلى حاكم زنجبار جناب السيد برغش

مبسملاً محمدلاً مصلولاً اللهم غبطاً لا هبطاً

أدام الله عز الجناب الرفيع العالي الأوحدي الأمجدي الملكي، جميل الآثار وجليل الاقتدار، مالك زمام الإسلام في بلاد زنجبار حضرة الأمير برغش الموصوف بأحاسن الخصال المحفوف بمزيد عناية الملك الوهاب المتعال. نسأل الله تعالى أن يعظم أمره ويرفع قدره ويبلغ مراده ويعمر بلاده ويجعله من الذين أحسنوا الحسنى وزيادة، والله يفعل ما يشاء، بيده الملك والملكوت، وهو السميع العليم.

غب إيفاء الدعوات الخالصات المعتبرة، بنسيم الوداد وأثر اهتداء التسليمات الوافيات المعطرة، بشميم الاتحاد كنفحات روائح النسيم فروح وريحان وجنة نعيم. ينهى إلى الحضرة العلية أن قد أخذنا بيمين التكريم كتابكم الكريم، كتاب يشعر بدوام الولاء وتمام الوفاء وكمال الاختصاص، ويخبر بوصول الوسام المجيدي(٣٠) الذي أرسلناه علامة للتودد والإخلاص، وما لنا إلا الوداد والاتحاد على إحكام أحكام الدين، وما علينا إلا الاعتقاد المبين في التأليف بين قلوب الموحدين، وكان على هذه الطريقة المثلى آباؤنا وأجدادنا الأولون مذ أن أوذن لهم بذكر "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"[سورة الأنبياء: ١٠٥]، ونحن على آثارهم مقتدون. فلما شرفهم الله تعالى بتشريف "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض" [سورة فاطر:٣٩]، جالوا في البلاد قرباً وبعداً شرقاً وغرباً بالطول والعرض، بصدق النية وخلوص الطوية؛ لجمع شمل الإسلام بالتأليف بين الملوك العظام والأمراء الكرام، ونالوا لطفه وإحسانه تعالى أقصى المرام. ومذ من الله على المحب المخلص بمنه "إنا جعلناك خليفة في الأرض" [سورة ص: ٢٦] قام على إقامة أركان النفل والفرض محافظاً على شعائر الإسلام.

هذا من فضل ربي نحمده حمداً يوافي نعمه، وشكراً يكافئ كرمه. ولما أن مفاوضتكم الكريمة دلت على كمال الاتحاد والموافاة، صار مطالعته سبباً؛ لتأكيد الوداد والمصافاة. فالمأمول والمتمنى من الحضرة العلية أن تشرفونا أحياناً بالمكاتبات الشريفة والمفاوضات المنيفة؛ ليصبح المحب المخلص مشمولاً ومباهياً بآثار الموالاة والموافاة الملوكية، ودمتم في دولة لا تتهدم دارها، ونعمة لا تنفصم آثارها، ما سبح في الماء السمك، وسبَّح في السماء الملك. آمين بحرمة سيد المرسلين"(٣١).

وفي ختام هذا المقال الذي ضم بعض الوثائق المتعلقة بالجوانب الأدبية في الأرشيف العثماني، دون تحليل

إلى دولتكم مع المذكرة يوم أمس، والمرجو منكم التحرك بموجب الأمر المنيف والفرمان السلطاني. الأرشيف العثماني، تصنيف AYNIYAT DEFTERI.No.875.sy.127

(٣٠) الوسام المجيدي: أُحدث في الدولة العثمانية في عام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م، نسبة إلى السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود الثاني (١٢٥٥-١٢٧٧هـ/١٨٣٩-١٨٦١م). وكان على درجات: الأولى، والثانية والثالثة والرابعة والخامسة إضافة إلى الوسام المجيدي المرصع. سهيل صابان، **الأوسمة العثمانية والحاصلون عليها من الجزيرة العربية**، الرياض، مركز حمد الجاسر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ص ١٤.

(٣١) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.EE.36/57

محتوياتها وتعليل مراميها ومقاصدها، يجدر بالباحث إيراد وثيقة عن مكانة اللغة العربية، دون التمكن من معرفة اسم صاحب الخطاب:

"إن العرب مع كون الفصاحة فيهم غزيرة يأتون بقوة بلاغتهم على البديهة بالعجب العجاب، ويرمزون بتلميحاتهم إلى السؤال والجواب، ويرتجزون بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون في السلم والحرب، ويذللون الصعاب. فمنهم البدوي ذو اللفظ الجزل، والقول الفصل والطبع الجوهري والمشرب الصفي، ومنهم الحضري ذو البلاغة الفائقة والفصاحة اللائقة. فهم لتحاشيهم عن الكذب ولملئ حشوهم عن الإنصاف بلا ريب لا يبخسون أهل الفضل فضلهم، ولو كانوا ألدَّ خصم لهم، ولذلك لما رأوا بلاغة القرآن المعجز أذعنوا له وسلموا أنه ليس من كلام البشر، وإن لم يؤمنوا هدايته، فمن ذلك ما روى أنه لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي – صلى الله عليه وسلم – قوله تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر يعظكم لعلكم تذكرون" [النحل:٩٠]، قال الوليد: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة (أي حسنا)، وإن أسفله لمغدق (من الغدق وهو الماء الكثير؛ إشارة إلى كثرة معانيه) وإن أعلاه لمثمر (إشارة إلى غزارة نفعه) [وإنه يعلو ولا يعلى عليه]، ما يقول هذا بشر(٣٢). وروى أبو عبيد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ قوله تعالى "فاصدع بما تؤمر [وأعرض عن الجاهلين]" [الحجر، الآية ٩٤] فسجد الأعرابي وقال: سجدت لفصاحته، وسمع آخر رجلاً يقرأ قوله تعالى: "فلما استيأسوا خلصوا نجياً" [يوسف: ٨٠] (أي حين يئسوا من يوسف إذ لم يجبهم، خلصوا أي انفردوا واعتزلوا نجياً أي متناجين في تدبير أمرهم. وحّد نجياً لكونه مصدراً أو فعيلاً)، فقال: اشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام. وروي أن عمر بن الخطاب كان يوماً نائماً في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد بشهادة الحق، فاستخبره فأعلمه أنه في بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها، فإنه سمع رجلاً من أسراء المسلمين يقرأ آية في كتاب الله فتأمّلتُها فإذا قد جمع فيها ما أنزل الله تعالى على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهو قوله تعالى: "ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه" [النور الآية ٥٢]. وحكى الأصمعي أنه سمع جارية تقول: أستغفر الله تعالى في ذنوبي كلها، فقال لها: مم تستغفرين، ولم يجر عليك قلم؟ فقالت: قتلت إنساناً لغير حله، مثل غزال نائم في دله، انتصف الليل ولم أصله؟ فقال: قاتلك الله ما أفصحك، فقالت: أو يُعدَّ هذا فصاحة بعد قوله تعالى: "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين" [القصص الآية ٦]. فجمع الله تعالى في واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. ومن الآيات الباهرة في الإعجاز قوله تعالى: "يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين" [هود، الآية ٤٤]. قال السيد السند قُدِّس سرّه في شرح المفتاح: روي أنهم كانوا قد علقوا القصائد السبع على باب الكعبة، وكانوا يقولون: لا ننزلها؛ حتى نطلع على ما هو أفصح منها. وكانوا يعاندون في أفصحيَّة ما نزل من آيات القرآن، حتى نزلت هذه الآية، فلم يبق طريق إلى العناد، وأذعنوا لها. فأنزلوا المعلقات من باب الكعبة. قيل وأول من أنزل منها أخت امرئ القيس؛ فإنها لما سمعت هذه الآية قالت: لا ينبغي لأحد بعد هذا أن يحتج بفصاحته،

(٣٢) للتفصيل في ذلك انظر تفسير الآيات ١١–٣١ من سورة المدثر.

فأنزلت معلقة أخيها ثم أنزلت البواقي"[٣٣].

Documentary Models from Arabic Literature in the Ottoman Archives

Suhail Saban*

ABSTRACT

The Ottoman archives are rich in Ottoman period documents, including administrative correspondence and social and political reports. The researcher examines some of the poetry in the archives that scholars and educated people sent to the Ottoman sultans on various occasions. The researcher refers to the Ottomans' interest in Arabic, reflected on one occasion when the sultan penalized the director of one of the Ottoman newspapers due to his offense against the Arabic language. The present study also includes poetry describing the sultan and speeches sent to the Ottoman leaders.

Keywords: Historical Documents, Ottoman Archive, Ottoman State.

* Department of History, Faculty of Arts, King Saud University , Riyadh. Received on 15/4/2007 and accepted for publication on 28/1/2008.

(٣٣) الأرشيف العثماني، تصنيف Y.EE.37/110